الجهاد في باكستان

لماذا وكيف

الشيخ/ عبد المجيد عبد الماجد تقبله الله



مؤسسة النازعات

Annazi'at

ذو القِعدة

١٤٤٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الجهاد في باكستان

لماذا؟ وكيف؟

النازعات

ذو القعدة ١٤٤٧

فهرس

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت هذه الورقات في «الدفعة السادسة من وثائق أبوت أباد»، وهي عبارة عن تدبير وضعه صاحبه للجهاد في باكستان؛ تأصيلًا نظريًّا وتنزيلًا عمليًّا، ثم عرضه على أهل الشأن في جماعة «قاعدة الجهاد» للنظر فيه. ويرجح عندنا أنّ كاتبه هو الشيخ عبد المجيد عبد الماجد، فموضوعه قريب مما كان يطرقه الشيخ في كتاباته، والأسلوب قريب منه. وقد تكون الورقات للأستاذ عبد الله العدم رحمهم الله جميعًا، ويظهر لنا أنّ الأسلوب بعيد عن طريقة العدم تقبله الله.

والشيخ عبد المجيد عبد الماجد هو أبو المقداد رافع مصطفى سيد أحمد سليمان، من أعيان مجلس شورى «قاعدة الجهاد» في خراسان. قُتل رحمه الله وولداه -المقداد (أسد الله) وخالد (سيف الله)- في قصف صليبي يوم الجمعة السادس عشر من ذي القعدة ١٤٣٢، الموافق الرابع عشر من تشرين الأول ٢٠١١م. تقبلهم الله وألحقهم بالأبرار وأنزلهم منازل الشهداء.

والله المسؤول بأضرع طلبة أن يتقبل عباده المجاهدين الباذلين أنفسَهم وأبناءهم وأموالهم في سبيله، ويرفع ذكرهم في الدنيا والآخرة.

النازعات

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

من الواضح أنّ أرض خراسان قد أصبحت مركزًا رئيسًا لحركة الجهاد العالمية، ولذا فإنّ كل ما تتعرض له هذه البقعة وما حولها من أحداث وتغيرات يؤثر مباشرة على حال الجهاد العالمي ومستقبله. ومن القطعي أنّ متابعة الأحداث المتغيرة في كل حين وثانية بنظرة ثاقبة ومعرفة العدو وأساليبه الحربية ووضع خطة عملية شاملة في ضوء هذه المعلومات من أولى مهام القيادة الجهادية. ولقد بدأت الأحداث تتغير بسرعة شديدة في هذه المنطقة بأكملها فتقتضي مصالح الجهاد الفكر الجاد والعميق في كثير من المواضيع الحساسة، وتحتاج العديد من جوانب المنهج العسكري والدعوي والسياسي المتبع في هذه المنطقة لإعادة النظر فيها. ولا نجد بين المجاهدين أيضًا نظرة واحدة متفقًا عليها عن الظروف الآتية أو عن مخططات العدو فيها ومنهجنا الدفاعي أو الإقدامي إزاءها، فتغلب العواطف عند البعض والقلق عند الآخرين.

في هذه الظروف كيف يغيب على ذوي الألباب والنهى أهمية الإجماع على منهج عملي واضح!

هذا الكتيب الذي بين أيديكم يحلل الواقع الحساس في خراسان وباكستان. ويلقي الضوء على نيات العدو وأساليبه الحربية. ثم يحاول الإجابة باختصار وبكل

سهولة على الأسئلة المطروحة أعلاه. وبما أنّ هذا الكتيب عبارة عن خلاصة واختصار لمبحث طويل لذا من المتوقع أن تطرأ في أذهان قارئيه أسئلة عديدة وأن تتطلب القرائح معرفة المزيد من التفاصيل عن كثير من المواضيع المطروحة.. وهذا هدف الكتيب الأساسي؛ أي أن تبدأ الأذهان والعقول بالفكر الجاد والعميق عن الموضوع الذي يحتل مركزًا أساسيًّا بالنسبة لمستقبل الجهاد، وأن تبقى أثناء ذلك جميع الجوانب المختلفة عن الموضوع تحت مجهر البحث. وفيما يتعلق ببحث جامع ومفصل يحيط بكافة جوانب وزوايا الموضوع فإننا ننوي إفراد كتاب له سيكتمل بإذن الله تعالى قريبًا.

نسأل الله تعالى الإخلاص في القصد، وأن يقرب لقلوبنا وأذهاننا ما هو حق، وأن يجعلنا في خدمة دينه والجهاد في سبيله، وأن يجعل ذلك وسيلة لمغفرتنا ولدخول جناته. آمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله صحبه وبارك وسلم.

تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد قسمنا موضوع البحث في هذه الكتيب تحت سؤالين مهمين:

- الجهاد في باكستان: لماذا؟
- والجهاد في باكستان: كيف؟

ولكن قبل المضي قدمًا في إجابة السؤال الأول نرى من الضروري ذكر بعض الأمور عن خلفية الأحداث الراهنة ووضع المنطقة تمهيدًا وبيانًا.

الأحداث العالمية.. في نظر مسلم

اليوم يمسح المسلمون النوم عن أعينهم في عالم يرون فيه قول الرسول الكريم ﷺ يتحقق حرفيًا، حيث قال: «**يوشِكُ الأُمَمُ أن تَداعى عَلَيْكُمْ كَمَا تَداعَى الأَكَلةُ إِلَى قَصْعتِها**». فقالَ قائِلٌ: ومِن قِلَّةٍ نحن يَوْمَئذٍ؟ قالَ: «**بل أنتم يَوْمَئذٍ كَثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، ولَيَنزِعَنَّ اللهُ مِن صُدورِ عَدُوِّكم المَهابةَ مِنكم، ولَيَقذِفَنَّ في قُلوبِكم الوَهْنَ**»، فقالَ قائِلٌ: يا رَسولَ اللهِ، وما الوَهْنُ؟ قالَ: «**حُبُّ الدُّنْيا، وكَراهيَةُ المَوْتِ**»[1].

---

[1] أبو داود (٤٢٩٧).

لقد شن كل أعداء الإسلام من يهود ونصارى ومشركين مجتمعين بكل ما توفرت لهم من وسائل، هجمة واحدة على المسلمين وعلى كل جانب من جوانب حياتهم من عقيدة وثقافة واقتصاد وسياسة وما إلى ذلك. وآلت قيادة هذه الحرب العالمية الشاملة إلى الصهاينة اليهود الذين يؤمنون بأنّ نبيهم دانيال دعا بثلاثة أمور لليهود في زمن نبوخذنصر وأنّ الله استجاب له فصار العمل على تحقيق هذه الأمور والسعي الحثيث لتحصيلها من الأهداف الحقيقة وراء الحركة العالمية الجديدة للصهاينة. هذه الدعوات الثلاثة أو بألفاظ أخرى الأهداف الثلاثة هي:

أولًا: سيطرة اليهود على فلسطين كاملة مرة أخرى.

ثانيًا: وإعادة تشييد الهيكل السليماني.

ثالثًا: وقيام دولة عالمية عظيمة لليهود كملك سليمان ﵇.

ولكن بعد نبوة عيسى ﵇ وبعثة محمد ﷺ إذا بالصهاينة يواجهون مشكلة جديدة وهي أنّ النصارى والمسلمين أصبحوا اليوم يخاصمونهم في فلسطين التي كانوا هم فقط بالأمس ورثتها. وهم يعلمون حق العلم أنّ اليهودية دين وراثي لا يمكن لأي شخص اتخاذها ديانة حتى ولو تأثر بدعاويهم المزعومة؛ ولذا فلا يمكن لليهود أبدًا أن يغلبوا منافسيهم بمفردهم وفي مرة واحدة اعتمادًا على عددهم فحسب. ولذلك وصلوا الخليج التاريخي والطبيعي الحائل بينهم وبين النصارى بواسطة حركة مارتن لوثر التي نسجوا شباكها ببراعة كاملة لكي يمكنهم اتخاذ

النصارى حلفاء لهم في مواجهة المسلمين. ثم إنهم ردموا منابع القوى الطبيعية للمجتمعات البشرية لكي يمكنهم التحكم في العالم بأسره ويجعلوا سكانه «غويمًا» على حد تعبيراتهم، وهذه المنابع هي:

أولًا: قوة الذهب والفضة.

ثانيًا: قوة الشعوب والقبائل.

ثالثًا: قوة الإيمان والعقيدة.

رابعًا: قوة العلم والدين.

ولكسر عرى المجتمع الإنساني الأصيلة هذه استحدث الصهاينة ما يسمى بـ«الديموقراطية» و«النظام الرأسمالي» ووظفوهما لمصالحهم. وأخص خصائص هذين النظامين أنهما لا يتركان قوى المجتمع الطبيعية السابقة الذكر أينما طبقا كقوى معتبرة. فهذان النظامان آلتان أساسيتان لتنفيذ المخططات العالمية للصهاينة. ونعتقد أنه من الضروري ذكر نقطة مهمة هنا لا يعيرها اهتمامًا أغلب مَن يكتب عن أو ينتقد أو يحلل هذين النظامين، وهي أنّ هذين النظامين من أوهن وأهش الأنظمة داخليًّا وإنها للقوة العسكرية القائمة على النظريات الحربية الغربية الجديدة التي تساند هذين النظامين وتدعمها. ولذا فإنّ «القوة العسكرية» المستحدثة هي الزاوية الثالثة لهذا المثلث الشيطاني. ولملء الفجوة التي نشأت بإلغاء قوى المجتمع الأصيلة أوجد الصهاينة بقيادة الأمم المتحدة نظامًا عالميًّا جديدًا والذي يعتبرونه

خطوة مهمة جدًّا باتجاه قيام مملكتهم العالمية المزعومة. فكل القرارات العالمية المهمة المتخذة من قِبل العدو منذ سقوط الخلافة العثمانية حتى بدء الحملة الصليبية الجديدة ومن بعدها إلى يومنا هذا ما هي إلا حلقات سلسلة المخطط الصهيوني وتهيئة الظروف لقدوم الدجال. ولكن إن كان أعداء الدين يحيكون مؤامرات مكرهم ودهائهم في جانب فإنّ الله في مقابلهم يهيئ لهذه الأمة علماء صادقين ودعاة حق صالحين ومجاهدين في سبيل الله فهموا الكفر وأساليبه بكل وضوح وعرفوا أعدائهم الحقيقيين جيدًا وواجهوهم في كل ميدان أشد مواجهة.

وأمامنا مثال عظيم في الشيخ عبد الله عزام ﵀ الذي نشر الصحوة الجهادية في الأمة جمعاء وجمع المسلمين على الجهاد في سبيل الله بعدما انتزعهم عن الحروب القومية والوطنية. فكان يردد مرارًا أيام الجهاد ضد الروس أنّ جهاد الأفغان في الحقيقة هو استعداد للجهاد ضد أمريكا وإسرائيل، وأنّ أول خطوة لإخراج اليهود من فلسطين هو توطيد الجهاد في أفغانستان فلم تكن عيناه تغفلان عن عدو الأمة الحقيقي حتى وهو يقاتل الروس. ومن بعده تسلم الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله لواءِ الجهاد العالمي وأعلن في ١٩٩٦م عن استهداف أمريكا ومصالحها في العالم بأسره. وبذلك حوّل توجهات المجاهدين عن أهدافهم الجزئية والفرعية إلى الطاغوت الأكبر وجعل اهتماماتهم ترتكز على جذور النظام العالمي الجديد الكافر. وما زال هو وقادة الجهاد معه يذكرون بأنّ تحرير فلسطين

وإقامة شرع الله هناك من أهداف المجاهدين الأساسية لكي لا تنسى الأمة عدوها الصهيوني، فجزاهم الله خير الجزاء.

والحمد لله، إذ أنّ المجاهدين اليوم لم يجروا إلى ميدان الصراع أمريكا فحسب بل جروا الغرب الصليبي بأسره في شكل حلف «الناتو». وبعد زمن طويل يواجه القادة الصليبيون الصهاينة خطرًا حقيقيًّا من قبل الأمة المسلمة.

موقف نظام الحكم في باكستان من «الحرب ضد الإسلام»

بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م تسلم جورج بوش قيادة هذه الحرب الصليبية الصهيونية القديمة وبعث فيها روحًا جديدة. وطالب مشاركة أمم العالم كله في هذه الحرب النجسة ضد الإسلام وأهله. فسارعت باكستان لتقف في الصف الأول لدول التحالف الأمريكي، ولا تخفى تفاصيل هذه القصة الشنيعة عن أحد، ولكن سنكتفي هنا فقط بالإشارة إلى أهم جرائم نظام الحكم الباكستاني:

أولًا: كان لباكستان الدور الرئيس في إسقاط الإمارة الإسلامية في أفغانستان.

ثانيًا: ألقى النظام الباكستاني بالقبض على ما يقرب على ٨٠٠ من المجاهدين الأجانب وسلمهم لأمريكا أو مارس أساليب العنف عليهم في سجونها المحلية وليكن من المعلوم أنه كان من بين هؤلاء الأسرى أهم قادة المجاهدين المطلوبين من قبل الغرب الكافر علاوة على عامة المجاهدين.

ثالثًا: عندما ضاقت الأرض بأكملها على المجاهدين فتحت المناطق القبلية الباكستانية رحابها لهم فبدأت القوات الباكستانية سلسلة من العمليات العسكرية ضدهم في هذه المناطق للقضاء عليهم بالكلية أو على الأقل إشغالهم عن العمليات الجهادية ضد قوات أمريكا و«الناتو» التي تستهدف إخراج تلك القوات من أفغانستان، ولا زالت هذه السلسلة مستمرة.

أسباب عدم فتح ميدان المعركة في باكستان حتى اليوم

دور الكفار هذا الذي لعبه نظام باكستان في الحرب ضد الإسلام وأهله هو الدليل الذي يجيز الجهاد ضد النظام ولا يتطلب الأمر لأكثر منه، ولكنّ قادة المجاهدين اعتبروا هذا الأسلوب العام لإشعال الحرب ضد مصالح الجهاد. والأسباب الأساسية التي ظلت حتى اليوم عائقًا في توسيع دائرة الجهاد ليشمل منطقة باكستان هي كالتالي:

أولًا: المنهج العام الذي رسمه قادة الجهاد بأنّ الهدف الأول للمجاهدين هو قيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان وأنّ قيامها هو الذي سيصبح بنفسه وسيلة لتحكيم الشريعة في باقي المناطق والدول.

ثانيًا: المنهج المقرر في ضوء التجارب الفاشلة في الخروج ضد الحكام المرتدين المحليين في مختلف المناطق الإسلامية عبر السبعين سنة الماضية بأنه لا ينبغي مشاكسة هؤلاء الحكام إلا بقدر الضرورة ويجب تركيز الاهتمامات على أئمة

الكفر العالمي أي أمريكا والغرب الصليبي. ولأنّ اقتلاع جذور الكفر ستبشر بنفسها بسقوط كل الدمى المحلية.

ثالثًا: في الظروف الطارئة بعد سقوط الأمارة الإسلامية وتشريد المجاهدين من أفغانستان وإلقاء القبض عليهم في باكستان والدنيا بأسرها كان المجاهدون يمرون بفترة ضعف شديد يحتاجون فيها إلى وقت مناسب لإعادة التنظيم من جديد، لذا لم يكن في مقدورهم أبدًا فتح جبهة جديدة.

رابعًا: لم يكن أهل باكستان وحتى عدد كبير من المجاهدين الباكستانيين مستعدين ذهنيًّا لبدء الجهاد في باكستان.

الجهاد في باكستان: لمَ الآن؟

قبل إجابة السؤال الذي يطرح نفسه الآن: «ما التغيرات التي وقعت لكي تجعل الجهاد في باكستان أمرًا لا مفر منه» أعتقد من اللازم بيان ثلاثة نقاط مهمة لا يمكن إجابة هذا السؤال أصلًا دون فهمهما فهمًا صحيحًا:

أولًا: أفغانستان وباكستان ليستا جبهتين بل جبهة واحدة

فتاريخ هذه المنطقة بأسرها شاهد على أنّ هذين البلدين جبهة واحدة ذات جانبين جانب شرقي وآخر غربي. وأنّ ما يتعرض له جزء منهما لا بد وأن يؤثر في الجزء الآخر مباشرة. والإنكليز هم الذين قاموا بتقسيم المنطقة لدولتين برسم الحدود المعروفة باسم «خط ديورند» قبل مئة عام فقط لأول مرة في التاريخ الطويل المشترك، وإلا فلم يكن ثمة اختلاف يذكر بينهما قبل هذا. واليوم وعلى الرغم من هذه التجزئة المصطنعة فإن أهل الإقليم الحدودي «سرحد» عمومًا وأهل الحزام القبلي هم أقرب إلى أفغانستان منه إلى البنجاب والسند بجميع الاعتبارات التقليدية والثقافية وغيرها. ولا زال جزء كبير من تجارتهم واقتصادهم مشتركًا، وما زال لهذه المناطق القبلية تمثيل دائم في المجلس القبلي التقليدي في أفغانستان المعروف باسم «لويه جرغه».

والأمر الآخر المهم من هذه الناحية أنّ عدونا –أي أمريكا– ينظر إلى المنطقتين كذلك جبهةَ حرب واحدة، لذا يجب علينا أن نعيد تعريف جبهة الحرب بمحو

الخط الذي رسمه الإنكليز من أذهاننا وإلا لن نقدر على تحليل الوضع بطريقة سليمة ولن نستطيع أن نصل لمنهج عمل صحيح تلقائيًّا.

ثانيًا: باكستان ليست مجرد باكستان بل هي شبه القارة الهندية

النقطة المهمة الثانية هي أنّ الإنكليز قسموا باكستان والهند أيضًا بنفس الطريقة الشاذة التي قسموا بها باكستان وأفغانستان. ولذا أعطوا جزءًا من الأقاليم الحدودية الثلاثة؛ كشمير وبنجاب والسند للهند والجزء الآخر منها لباكستان. ثم إنه من المسلمات من الناحية التاريخية أنّ شبة القارة منطقة واحدة مترابطة وأنّ ما يطرأ على جانبها الغربي -أي باكستان الحالية- تتردد أصداءه تلقائيًّا في جانبها الشرقي -أي الهند الحالية- ولا يتوقف هذا الصدى إلا أمام أمواج خليج البنغال.

لذا يتحتم على قيادة المجاهدين أن يضعوا شبه القارة بأكملها في أذهانهم قبل التخطيط لأي برنامج في المستقبل وإلا فإنّا سنلحق الضرر بأنفسنا بالتخطيط بناء على تحاليل ناقصة.

ثالثًا: هناك اختلاف جوهري بين أسلوب حرب أمريكا والروس

لا يمكن مواجهة أي عدو بدون معرفة أسلوبه في الحرب معرفة عميقة. وبما أنّ أسلوب الحرب الذي تنتهجه أمريكا يختلف اختلافًا بائنًا عن أسلوب حرب الروس لذا لا بد للمجاهدين أن يغيروا طريقة وأسلوب مواجهتهم وتدريبهم

واستعدادهم كذلك. فلن تنفع السهام المستعلمة ضد الروس في الحرب ضد أمريكا بشيء. وأسلوب حرب العدوين في الحقيقة موضوع يحتاج لإسهاب وتفصيل، ولكن باختصار نذكر بأن الروس كانوا «محاربين» أما الأمريكان فهم «رجال دولة». والروس كان يمارس «حرب الإنهاك» التي يوقع فيه الضرب على العدو كمًّا وتزعزع إرادته بإهلاك أفراده ووسائله وأمواله. ولكنّ أمريكا تعتمد على حرب المناورات، فهي تضع نصب عينها الهدف المطلوب وتستعمل كل وسيلة متاحة للحصول عليه، بل إنها تحاول التقليل حتى الإمكان من استخدام القوة العسكرية بالفعل، ففلسفة الحرب عندهم أنّ النجاح الحقيقي يكمن في هزم العدو دون إطلاق أي رصاصة، لذا فإنّ الأمريكان يحاولون خنق العدو بمحاصرته من كل جانب أكثر من محاولتهم تدمير العدو، أو يركزون على أن يتقدموا على العدو زمنيًّا بعد إعاقته عن التقدم بحرب نفسية وعقلية.

ومن هنا نستنبط أنّا لا نحتاج إلى قوة عسكرية كبيرة وأعداد ضخمة لهزم أمريكا، بل بعد التوكل على الله فإنّ سلاحنا الأصلي هو قراء ما يدور في ذهن الأمريكان في الوقت المناسب، ومعرفة إرادتهم قبل الوقت لكي يجدوننا دائمًا قبلهم بخطوة. فكأن نصف المعركة مع الأمريكان تدور داخل غرفة مغلقة والنصف الآخر في ميدان المعركة. ولفهم أسلوب الحرب الأمريكية بمزيد من التفصيل لا بد من فهم تصوراتهم لـ«ميدان المعركة»، ونظرية «الحرب المختصرة» وفلسفة «الهزيمة في البعد الزمني». ويتحتم كذلك معرفة نظريات خبرائهم العسكريين المرموقين

الذين على فلسفتهم يقوم هيكل الجيش الأمريكي بأكلمه وأسلوب حربه الجديد.

وفهم أسلوب حرب العدو ضروري ليس لمواجهته في باكستان فحسب بل لمواجهته حتى المواجهة في العالم بأسره.

الجهاد في باكستان: لماذا؟

الآن نرجع إلى موضوعنا الأساسي ونتباحث عن الأسباب التي نعتقد بأنها تحتم علينا الجهاد في باكستان.

أولًا: لقد تفككت باكستان

قد يبدو هذا الأمر محيرًا للحظة، ولكن الحقيقة أنّ باكستان قد تفككت وأنّ كل ما نراه الآن في باكستان هي مظاهر عملية ومراحل نهائية لتفككها فلم تبق أصلًا أي قوة جاذبة تربط بين أجزائها المختلفة. فحتى اليوم كانت هناك أمور ثلاثة تربط باكستان في وحدة واحدة وهي:

نظرية باكستان: التي قضي عليها لحظة شاركت باكستان في الحرب ضد الإرهاب.

والقوة السياسية التي تستطيع حشد الجماهير حولها: ولكن بعد مقتل بينظير لم يبق أي قائد سياسي يمكنه إخراج البلد من أزمته، ولم تبق أي جماعة تستطيع إدارة الحكم بمفردها. ولذا يحاولون تشكيل حكومة قومية متعددة الأحزاب وهو دليل واضح على وجود فجوة كبيرة في الميدان السياسي.

والجيش: الذي كان يسارع في مساندة النظام المتساقط في كل مرة ييأس الناس فيها من القيادة السياسية. ولكن اليوم نجد أنّ البلد كله بفئاته الدينية

واللادينية مجتمع على مطالبة الجيش بالرجوع إلى ثكناته، ولم تقل شعبية الجيش منذ أن نشأت دولة باكستان أبدًا إلى الدرجة التي وصلت إليها الآن.

فاليوم انتهت كل القوى المغناطيسية التي كانت تربط باكستان وبدأت أجزاء باكستان بالانفصال تلقائيًّا، وعملية الانفصال هذه تسير قدمًا بطريقتها وسرعتها الطبيعية. وقد بدأت التصدعات في وحدة باكستان تظهر في الانتخابات السابقة حيث فازت الجماعات الدينية في إقليمي سرحد وبلوشستان على العكس من إقليمي بنجاب والسند حيث فازت الجماعات القومية والعَلمانية. ولقد تنبأ أولو البصائر حينها عن خريطة المستقبل وحذروا من النتائج الوخيمة. ولكن الآن بعد مقتل بينظير توسعت هذه التصدعات وأصبحت واضحة حتى أننا نسمع يوميًّا من قائد أو محلل سياسي جملًا مثل «إنّ سلامة باكستان في خطر»، و«لا بد من اتخاذ الخطوات الفلانية والفلانية لإنقاذ باكستان»، و«إنّ باكستان تواجه أحداثًا كأحداث عام ١٩٧١م» وغيرها. ولا يخفى هذا أبدًا على مَن له علم بجرائد باكستان وإذاعاتها وقنواتها.

نعتقد أنه يجب على قيادة المجاهدين أن لا تتردد وتتشكك بشأن هذا الأمر وأن كل ما تخطط له في المستقبل يجب أن يكون على افتراض أن باكستان قد تفككت وأنه سرعان ما ستنفصل أجزائها بحيث لن يبقى هذا التفكك مخفيًّا عن أحد.

ونعتقد أنّ تفكك باكستان من أهم الحقائق الواقعية التي تطالبنا بكل قوة لإعادة النظر في منهجنا العسكري والدعوي المتعلق بباكستان. هذا منعطف مهم جدًّا في تاريخ المنطقة بحيث أن نتائجه القريبة والبعيدة ستؤثر مباشرة على الجهاد في المستقبل وسترغم المجاهدين رغم أنفهم للنزول إلى ميدان المعركة للدفاع عن الجهاد دون أي استعداد أو مخطط. أفلا يستحسن أن تحس قيادة المجاهدين نبض الأحداث القادمة من الآن وأن تضع خطط مستقبلها من الآن طبقًا لها؟

ثانيًا: أمريكا تخطط لتقسيم باكستان

لم تخفِ أمريكا نياتها عن مستقبل باكستان أبدًا ولقد أكدت كثير من الهيئات السياسية والفكرية الغربية في توصياتها ووثائقها أن التقسيم الجغرافي للعالم اليوم هو تقسيم ما بعد الاستعمار الذي لا يناسب مصالح أمريكا وأن أمريكا عليها إعادة التوزيع الجغرافي إن أرادت الحفاظ على مصالحها، وهذه الهيئات قد صرحت بتقسيم باكستان بهذا الشأن، ونعتقد أنه توجد كثير من الأدلة التي تشير إلى أن أمريكا قد دخلت في المراحل الأخيرة لتطبيق برنامجها هذا. وحسب هذا المخطط فإن أمريكا تريد أن تقسم باكستان إلى خمس أو ست مناطق:

١- كراتشي كرئاسة مدنية حرة على غرار مدن سنغافور وهونغ كونغ.

٢- بلوشستان كرئاسة حرة مستقلة.

٣- المناطق الشمالية غلغت وسكردو ولواحقها كرئاسة إسماعيلية مستقلة.

٤- ضم الإقليم الحدودي سرحد في أفغانستان.

٥- إبقاء ما يتبقى من بنجاب والسند كدولة باكستان أو تسليمها إلى الهند.

٦- ومن الممكن جدًّا أن يسلم ميناء غوادر للصين لإرضائها بهذا التقسيم وإلا فالصين قد لا تقبل مثل هذه التغيرات الخطيرة قريبًا من حدودها.

ولتطبيق هذا التقسيم عمليًّا يمكن لأمريكا استخدام إحدى الطريقتين التاليتين:

١- بواسطة القوات الهندية.

٢- أو لوحدها بالتدخل المباشر.

ولكن ما الأهداف التي تريد أمريكا تحقيقها من وراء تقسيم باكستان؟ نعتقد أنّ أهم الأهداف هي أربعة:

أولها: محاصرة مركز الجهاد العالمي، أي المناطق القبلية، لخنق المجاهدين وبذلك التأكد من سلامة قواتها ومصالحها في أفغانستان.

ثانيها: استبدال ميدان المعركة بالميدان الذي يناسبها هي ودفع المجاهدين لذلك الميدان لضرب قوتهم.

ثالثها: السيطرة على قوة باكستان النووية أو القضاء عليها.

رابعها: خنق الحصار حول الصين.

النقطة التي نعتقد أنه يجب التركيز عليها هنا هي أنّ أمريكا تريد حصر المجاهدين في إقليم سرحد ودفعهم من جهة أفغانستان إلى المناطق الميدانية

لباكستان أو إلى المناطق الصحراوية لقندهار عبر إقليم بلوشستان. ولا يخفى عن نظر أي جندي أنّ المنطقة الجبلية هو ميدان المعركة المرغوب لدى المجاهدين لأن مجابهة أي جيش منظم في المناطق الميدانية من قِبل جيش عصابات أمر في غاية الصعوبة فستحاول أمريكا أن ينزل المجاهدون إلى ميدان المعركة الذي تنتخبه هي ثم تصطادهم هناك بسهولة.

ثالثًا: الهند تخطط للهجوم على باكستان

لقد أقدمت الهند على كثير من المبادرات المهمة جدًّا التي لا يمكن تأويلها إلا بأنها تستعد لمعركة كبيرة حاسمة. ومن هذه المبادرات:

- عرض الهند مناقصة لشراء ١٣٤ طائرة حربية على دول العالم بأسره، وستكون هذه أكبر صفقة حربية في تاريخ العالم كله.

- مشاركة الهند في التمارين البحرية المشتركة في بحر العرب مع أمريكا وأستراليا واليابان وغيرها من الدول، والتي تعتبر من إحدى أكبر التمارين العسكرية.

- قيام الهند بتمارين عسكرية مع بريطانيا على أعلى جبهات القتال في منطقة سياتشن الجبلية على الحدود مع باكستان.

- اتخاذ أمريكا خطوة كبيرة للتعاون في المجال النووي مع الهند بشرائها مفاعلا نوويًّا هنديًّا على أرض الهند.

- عقد الهند ألعاب الحرب الاستراتيجية الكبرى من نوعها في منطقة حيدر أباد.

- إطلاق الهند مؤخرًا قمرًا صناعيًّا إسرائيليًّا في الفضاء للتجسس على باكستان.

- إعلان الهند عن زيادة عدد قواتها البالغة حاليًّا مليون وثلاثمئة ألف جندي بمقدار مليون جندي. وهكذا سيبلغ عدد قواتها مليونين وثلاثمئة ألف جندي في مقابل الخمسمئة إلى الستمئة ألف جندي للقوات الباكستانية.

- زيادة الهند من التعاون بينها وبين إسرائيل في المجال العسكري حتى إنّ إسرائيل أصبحت الآن ثاني أكبر الدول التي تمول الهند بالسلاح بعد أمريكا.

- تخصيص الهند ٤٠ بليون دولارًا لشراء الأسلحة الجديدة التي تشمل على المناظير الليلية والملابس العسكرية المموهة الصالحة للطقوس الباردة جدًّا وغيرها من أحدث الأسلحة الأخرى.

هذه الخطوات العملاقة تنبئ عن عاصفة قادمة، وقد ركزت الهند أنظارها عن كتب على الظروف الداخلية لباكستان والمحللون العسكريون يترجمون لنا هذه الخطوات بقولهم أن الهند ستهاجم باكستان عاجلًا أَم آجلًا.

عادة تداهم الهند على باكستان من كل أو بعض المناطق الإثنا عشرة الحدودية التالية:

١- بمبر.

٢- لداخ.

٣- تشكوتي، أت مقام.

٤- سيالكوت.

٥- لاهور.

٦- قصور.

٧- سليمانكي.

٨- ملتان، بهاولبور.

٩- رحيم يار خان.

١٠- سكر.

١١- حيدر آباد.

١٢- كراتشي.

فإن هاجمت الهند لأهدافها المستقلة فإنها ستركز قواتها على المناطق الشمالية لشن الهجمات أي من منطقة بمبر حتى منطقة قصور. ولكن إن دخلت الهند لتعاون أمريكا في برنامجها لتقسيم باكستان فإنها ستركز قواتها على المناطق الجنوبية لشن الهجمات أي من منطقة ملتان إلى كراتشي. وطبقًا للمحللين العسكريين فإنه توجد إمكانية كبيرة في صورة ما إذا هجمت الهند على باكستان أن تضطر هي بدورها لاستعمال سلاحها النووي. وذلك لأنّ باكستان بعد حظر أمريكا شراء قطع الغيار الحربية عليها بواسطة «تعديل بريسلر» عام ١٩٩٢م تأخرت عن

الهند في سباق الأسلحة التقليدية وهذا لا يبقي أمامها أي خيار سوى استعمال الأسلحة النووية.

رابعًا: حتى لو لم تتدخل أي من القوى الخارجية.. فما النتيجة المتوقعة؟

لو فرضنا للحظات أنّ أمريكا والهند لم تتدخلا مباشرة في باكستان وتركتا باكستان على حالها فيمكن في هذه الصورة أن يحدث أمران:

الأول: أن تتابع باكستان في دورها اللعين في الحرب ضد الإرهاب. وفي هذه الصورة أيضًا يتحتم تفكك باكستان لأنه مثلما ذكرنا في التمهيد فإنه لم تبق أي قوة جاذبة تحافظ على وحدة باكستان والحرب ضد الإرهاب بنفسها من إحدى الأسباب الأساسية التي تقود باكستان إلى التفكك. فلو تمادت هذه الحرب فإنّ قتال المجاهدين ضد الجيش وكذلك معارك المناطق القبلية ضد الجيش علاوة على نزاع المؤسسات الحكومية مع بعضها البعض سيساعد عملية الانفصال على الاستمرار. نعم، من الممكن أن يتأخر هذا التفكك إذا لم تتدخل أي قوة خارجية مباشرة.

الثاني: أن تنفصل باكستان عن الحرب ضد الإرهاب. أولًا لا يرى هذا يحدث في ظاهر الأمر. ولكن حتى ولو فرضنا أن القيادة العسكرية في باكستان ستتخذ هذا القرار فعندئذ ستضطر أمريكا بنفسها إلى الدخول في باكستان في أسرع وقت، والنتيجة ستكون هي هي، والله أعلم، أي تفكك باكستان.

الحرب العالمية الثالثة

والصورة الأخيرة أن ترى الصين والروس المداخلات الأمريكية في باكستان خطرًا كبيرًا على سلامتهما إلى درجة تجعلهما تنزلان إلى ميدان المعركة ومن ثَم سيقود نزاع القوى الكبرى في باكستان إلى حرب عالمية ثالثة.

خلاصة الكلام

من الواضح جدًّا مما ذكر أعلاه أنّ منطقة خراسان وباكستان بأكلمها تمر بظروف حساسة جدًّا ونرى تغيرات سياسية وجغرافية وعسكرية كبيرة تقع في المستقبل القريب والله أعلم. أعداؤنا كذلك بدؤوا يغيرون أساليبهم بسرعة ويضعون برنامجًا للقضاء على مركز الجهاد في وزيرستان للأبد. لو ربطنا هذه الأمور بالخلفية التاريخية عبر السنوات الستة الأخيرة فإنها تشهد بنفسها على أنه لو اتخذت قوات باكستان ومؤسساتها الاستخبارية موقفًا صارمًا فإنّ:

- دفاع المجاهدين عن أنفسهم ضد الجيش الباكستاني سيشغلهم حتى أنّ هدفهم في إخراج الأمريكان من أفغانستان سيصبح صعب المنال بمرور الزمن.
- حتى وإن نجح المجاهدون في إخراج الأمريكان وحلفائهم من أفغانستان فإنه من الممكن جدًّا أن يضيع نظام الحكم في باكستان بواسطة سياسته الشنيعة ومؤامراته الشيطانية ثمار الجهاد الأفغاني كما فعل سابقًا ويكون عائقًا في قيام إمارة إسلامية خالصة في أفغانستان.

- وأنه يصعب على المجاهدين الدفاع عن مركز الجهاد وزيرستان نفسه.

لو رأينا هذه الأوضاع المتوقعة بعين الاعتبار فإنه سيكون في محله تمامًا قولنا بأنّ الظروف قد وصلت إلى درجة أنّ التردد والتشكك بشأن الجهاد في باكستان اليوم سيكون خطيرًا بالنسبة للجهاد وأهل الجهاد أنفسهم. الجهاد في باكستان أصبح اليوم من مقتضيات الدفاع عن الإمارة الإسلامية في أفغانستان، ومن مقتضيات الدفاع عن مركز الجهاد في وزيرستان، وهو الحل الوحيد الممكن لمكائد العدو العسكرية والسياسية في باكستان نفسها، وهو النتيجة الطبيعية للأوضاع المتغيرة في المنطقة. وسواء أدركنا اليوم هذه الحقائق أَم لا فإنّ الظروف بنفسها ستجرنا إلى الميدان. الأوضاع المتوقعة في المستقبل القريب تدعو قيادة المجاهدين إلى الفكر والبحث وتطالبهم بأن يجعلوا رسم العمل العسكري والدعوي والسياسي في باكستان وبالخصوص في وزيرستان من أولى أولوياتهم واهتماماتهم. والله أعلم بالصواب وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

الجهاد في باكستان: كيف؟

نقاط تمهيدية

الجواب على هذا السؤال يقتضي شرح كل التفاصيل الدقيقة المتعلقة به، ولكن بما أن هذا الكتيب لا يستهدف هذا البحث التفصيلي لذا سأكتفي هنا بالإشارة إلى بعض النقاط الأساسية:

أولًا: أنه يتحتم على قيادة المجاهدين قبل البدء في العمل العسكري أو الدعوي في باكستان أن تطرح من أذهانها الخريطة الحالية للمنطقة وترسم بدلًا منها خريطة جديدة. ويجب رسم هذه الخريطة بوضع أولويات وأهداف المجاهدين ونيات العدو، والتوزيع الطبيعي للمنطقة قبل قدوم الإنكليز، في عين الاعتبار. إن لم نستطع الخروج ذهنيًّا من القيود الجغرافية الحالية التي اختلقها الإنكليز فإننا لن نستطيع التحرر منها عمليًّا كذلك.

ثانيًا: اسم المخطط المرسوم في ذهني للعمل في باكستان هو «مخطط اليد اليمنى». ففي نظري شكل التوزيع الطبيعي لباكستان من ناحية وجهة نظر المجاهدين يشبه اليد اليمنى للإنسان. فكما أنّ أسفل الكف والإبهام يمثلان سبعين في المئة من أجزاء اليد من ناحية الأهمية العضوية ولذا نرى أنّ الجراح يسعى حثيثًا لإنقاذهما عندما تتعرض اليد لأي حادثة فكذلك تحتل المناطق القبلية من إقليم سرحد نفس الأهمية بالنسبة للمجاهدين. ولذا يجب أن يكون

الدفاع عنها والحفاظ عليها من أولى الأولويات، وسواء استطاع المجاهدون السيطرة على غيرها من الأراضي أَم لا فلا ينبغي أن تفلت هذه المنطقة من أيديهم أبدًا. وكما أنّ المتبقي من الكف يمثل خمسة عشر في المئة من اليد عند الأطباء فكذلك هي أهمية المناطق الخاضعة للنظام الحكومي من إقليم سرحد. وكما أنّ الأصابع الأربعة تمثل خمس عشرة في المئة المتبقية فكذلك هي أهمية أقاليم بنجاب وسند وبلوشستان وكشمير الحرة.

إذن ينبغي على المجاهدين أن تكون السيطرة على المناطق القبلية والدفاع عنها من أولى أولوياتهم. فهذه المناطق تحتل مركزًا أساسيًّا لحركة الجهاد العالمية ويتحتم أن لا نتنازل عنها أبدًا.

ثالثًا: بوضع ظروف باكستان الداخلية والخارجية في عين الاعتبار لا يصعب فهم أنّ مجرد العمل في المجال الدعوي في باكستان لن يكفي ولن يكون مؤثرًا. فمن الضروري الاستمرار في العمل العسكري بجانب العمل الدعوي وبدونه لن يكون للدعوة أي صدى ملموس ولا يمكن أيضًا وضع حد أمام قوة النظام الحاكم في باكستان.

رابعًا: ومن المهم جدًّا أن يحافظ المجاهدون على التوازن بين عجلتي العمل الدعوي والعسكري، فإن سبقت عجلة العمل العسكري عجلة العمل الدعوي فلن يكون بالإمكان قطف ثمار العمليات العسكرية. بل بسبب الضعف في

المجال الدعوي قد تتحول في بعض الأحيان علمية مهمة جدًّا من الناحية العسكرية إلى عملية ذات نتائج سلبية جدًّا من المنظور الدعوي. وهذه هي نفس النقطة التي تناولها بالتفصيل كلًّا من الشيخ أبو مصعب السوري في كتابه «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية»، والشيخ سيف العدل في كتابه «هكذا نرى الجهاد ونريده».

استراتيجية العمل في المناطق القبلية

سأشير هنا بالاختصار إلى الخطوات العملية المطلوبة لتقوية السيطرة على حزام المناطق القبلية التي نوهت إلى أهميتها في ما أعلاه:

أولًا: إدارة التوحش

القوة الحقيقية التي يجب عليها الاعتماد في باكستان بعد قوة الله ﷻ هي قوة القبائل. فعلى العكس من مناطق باكستان الأخرى لم يتمكن الإنكليز ونظامهم من الهيمنة التامة على الحزام القبلي أبدًا. ولذا لا نرى الانحلال التام للنظام الطبيعي للشعوب والقبائل بين مجتمعات هذه المناطق القبلية كما نراه في المناطق الحكومية لباكستان. فالنظام الجمهوري الذي طبقه الإنكليز بمنتهى الحكمة قصم ظهر قوة القبائل والعشائر في مجتمعات باكستان الأخرى إلى درجة أنّ عددًا كبيرًا من المجتمع لم يعد يعرف أنسابه لأكثر من جيلين أو ثلاثة. ولم يبق هذا النظام الفطري قويًّا حتى بين الذين يعرفون أنسابهم ويوجد لديهم نظام قبلي ما

ولو اسميًّا. والحالة معكوسة تمامًا في الحزام القبلي. فلا تزال القبائل موجودة بالفعل هنا وكذلك قوتها. ولذا فإن هذه هي المنطقة الوحيدة التي يمكن أن يتحول الجهاد فيها لحركة شعبية قوية، ويمكن للمجتمع بأسره أن يخرج للجهاد. وإن سارت مهامنا العسكرية والدعوية قدمًا على خطا قويمة.. فستكفي مجرد الإشارة لكي يخرج الألوف من الناس لميدان الجهاد ويصبحوا جيشه الجرار. ولا يرى مثل هذا يحدث في المستقبل القريب في مناطق بنجاب والسند وسرحد وبلوشستان المدنية بسبب تفكك النظام الاجتماعي فيها. ولذا نقول إنّ قوة القبائل هي القوة الأصيلة والطبيعية التي يكمن الاعتماد عليها بعد ذات الباري ﷻ. ولذا فتهيئة القوة ليس هو التحدي الحقيقي الذي يجب أن تواجهه قيادة الجهاد بل إنّ تحديهم يقع في تجميع وتنظيم وتنسيق القوى الخامة المتوفرة والمنفلتة لاستخدامها للحصول على هدف شرعي. وهذه هي العملية التي يسميها أبو بكر ناجي باسم «إدارة التوحش».

ثانيًا: الاتفاق على نظرية حرب واحدة

تخلو تمامًا صفوف المجاهدين الباكستانيين من أي نظرية حرب واضحة تجمع بينهم فكريًّا وعمليًّا على أي مستوى كان سواء كانوا طالبان المناطق القبلية المحليين أو الجمعيات والتنظيمات الجهادية من خارجها.. كلهم واقعون في شباك التشتت الفكري. وسواء كانوا مجاهدين ينتمون لجمعيات مختلفة أو مجاهدون من

نفس الجمعية الواحدة فإنك تجد في أذهان كل منهم تحليلات مختلفة للأحداث وتصورًا مختلفًا للعدو وأولويات مختلفة للعمل. وبسبب هذا الاختلاف والتشتت النظري فإنّ قوتهم في المجال العملي تتبعثر في اتجاهات مختلفة وتتبخر ويستحيل على المجاهدين -من حيث الكل- الحصول على هدف واضح مهم متفق عليه. والافتراق الواقع في صفوف المجاهدين الباكستانيين نتيجة لهذا التشتت الفكري. ولذا يتحتم على قيادة المجاهدين وضع نظرية حرب واضحة أولًا ثم جمع المجموعات الباكستانية وجميع قادة «الطالبان» المحليين عليها بعقد جلسات مطولة معهم. فإذا رأت جميع قيادات مجموعات الجهاد الباكستانية الظروف بنظرة واحدة واتفقت على منهج عملي موحد فإنّ أكثر من نصف مهمتنا تكون قد أنجزت.

ثالثًا: الاتصال بالعلماء وشيوخ القبائل وشريحة المثقفين الجدد

مثلما أنه لا مفر من توطيد علاقات أخوية قوية مع «الطالبان» المحليين لقيام حركة جهادية فعالة في المجتمع القبلي فكذلك لا بد من توطيد العلاقات مع العلماء المحليين وزعماء القبائل والمثقفين الجدد بالاتصال المستمر معهم وعرض الدعوة أمامهم بصورة بارزة لأنّ هذه هي شرائح المجتمع القبلي المؤثرة. فإن استطعنا إفهام هذه الشرائح نظريةَ الحرب حسب مستواهم الفكري وبلغتهم فبحول الله ستقوى جذور الجهاد وأهله في هذا المجتمع بحيث لن تستطيع أي يد داخلية أو خارجية اقتلاعها. وفي رأيي: للحصول على هذا الهدف المهم يجب

تشكيل جهاز مختص يضم مجاهدين باكستانيين يستطيعون النفوذ بين شرائح المجتمع هذه بناء على معرفتهم للتقاليد القبلية ولغاتهم. ويجب على أفراد هذا الجهاز أن لا يرتبطوا بأي عمليات عسكرية حساسة كي لا يحول بينهم وبين جمهور القبائل أي جدار أمني ولكي ينصهروا في هذا المجتمع ويستطيعوا العيش فيه كجزء مستقل منه.

رابعًا: تجهيز قيادة قبلية جديدة

وإن كان الاتصال بهذه الشرائح المؤثرة في المجتمع في غاية الأهمية من جانب فكذلك لا يقل أهمية اصطفاء شباب أذكياء وأتقياء من كل قبيلة وإمرارهم في نظام تربية دينية وعسكرية متكامل. هؤلاء الشباب سيكونون قيادات جهادية طبيعية لقبائلهم. فيجب الرفع من مستوى هؤلاء الشباب العلمي وبناء مهاراتهم في العلوم العسكرية وإفهامهم أساليب حرب الأعداء وبجانب ذلك التركيز الخاص على تزكية قلوبهم وتحلية أعضائهم وجوارحهم بمحاسن الشريعة.

خامسًا: الاجتماع على قيادة موحدة

من الضروري للجهاد في باكستان أن يتفق «الطالبان» المحليون والمجموعات الجهادية على قيادة متفقة وكذلك يجب أن لا تتعدى المجموعات غير الباكستانية مثل الأزبك والأتراك والتركمان وغيرهم الحدود التي يرسمها الأمير فيما يختص

بباكستان والمناطق القبلية. وإلى أن نتفق على الوحدة سيظل التسلل للعدو في صفوفنا سهلًا ولن يصعب

عليهم عرقلة أقدامنا من التقدم الصورة المثالية لهذه الوحدة هي أن يجتمع المجاهدون الباكستانيون تحت قيادة الملا محمد عمر حفظه الله. ولكن على سبيل الافتراض إن كان هذا متعسرًا الآن فيتحتم انتقاء قائد مؤقت للجهاد. ومن الممكن أن نصل إلى مرمى الاتفاق والاتحاد تدريجيًّا بتشكيل مجلس شورى يضم النخبة من المجاهدين الباكستانيين في المرحلة الأولى. وفي ضوء التجارب الناتجة عن هذه الخطوة تتخذ الخطوات الأنسب في المستقبل.

سادسًا: تخزين الأسلحة البارود والمستلزمات الأخرى

تبرز من الحرب الحالية بين القوات الباكستانية وقبائل المحسود بالإضافة إلى تجارب أخرى أهمية تخزين كميات كبيرة من الأسلحة والبارود والمواد الغذائية والوقود تمكننا من الدخول في حرب طويلة في المناطق القبلية.

سابعًا: إعداد خبراء في أساليب حرب العدو

يتحتم للجهاد ضد أمريكا والغرب وأتباعهم في المناطق القبلية وباكستان، بل في العالم بأسره أن يكون لدى المجاهدين عدد لا بأس به من الأفراد -ثلاثون على الأقل- المتعمقين في فهم قوات العدو ونظرياتهم الحربية وفلسفاتها وأساليبها. لقد بينت في أول هذا الكتيب أنه لو فهم الشخص جيدًا أسلوب الحرب

الأمريكية فلن يصعب عليه معرفة خطى أمريكا وآلياتها القادمة. ولذا لو فهم المجاهدون القوات الأمريكية بهذا العمق فإنهم سيربحون نصف المعركة ضد أمريكا. ويحتاج المجاهدون كذلك إلى خبراء ذوو معرفة تامة بالقوات الباكستانية وبأساليبها. ولهذا لا بد من انتقاء خمسة وعشرين إلى ثلاثين شابًّا من مختلف المجموعات وتدريبهم لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر على الأقل يدرسون فيها تلك المواد بالتفصيل هؤلاء الأفراد سيصبحون ذخرًا للمجاهدين وبتخمين مخططات العدو مستقبلًا في الظروف المتغيرة سيصبحون وسيلة لتحويل التيار الجهادي إلى مساره الصحيح قبل فوات الأوان. وستؤول إليهم قيادة الجهاد في المستقبل.

العمل الدعوي في باكستان

أذكر تحت هذا العنوان باختصار تاركًا التفاصيل العلمية تلك المواضيع الأساسية التي يجب إبرازها في مجال الدعوة في باكستان:

أولًا: ربط الجهاد الحالي بالتاريخ الجهادي لشبة القارة

لا تخفى أهمية التاريخ في المجال الدعوي عن أولي البصائر. وبحمد الله فإنّ أعماق تاريخ شبه القارة الهندية يذخر بلآلئ الدعوة والجهاد المندثرة التي سيكون من الحماقة عرض دعوة الجهاد في ظل وجودها كحركة خارجية دخيلة على المجتمع دون استخراج هذه الكنوز والاستفادة منها زمن غرائز أهل شبه القارة أنّ أحوالهم وماضي آبائهم وأجدادهم يستهويهم ويشعرون في كل ما ينتسب إلى ماضيهم بأنس ومحبة يجعلهم يتسابقون إليه. فحركة المجاهدين للسيد أحمد الشهيد والسيد إسماعيل الشهيد رحمهما الله رفعت لواء الجهاد قبل مائتي سنة فقط في شبه القارة ضد الإنكليز والسيخ وقاتلوا كل مَن والاهم ووقف بجانبهم من أهل المنطقة. بدأت هذه الحركة بالفتوى الشهيرة لشاه عبد العزيز ابن الشاه ولي الله الدهلوي التي أفتى فيها بأنّ الهند دار حرب. وفي ضوء هذه الفتوى نشر السيد أحمد الشهيد دعوة الجهاد في الهند بأكملها وهاجر من منطقة رائي بريلي ومر على السند وبلوشستان وقندهار وكابل والمناطق القبلية، وأخيرًا بنى مركزه في

منطقة "ستانه" أي وديان بونير وصوابي وغيرها من المناطق الملحقة بمدن مردان ونوشهره وبيشاور الحالية. وما امتازت به حركته الآتي:

- بدأت الحركة بناء على فتوى عالم له مكانته في الهند.
- كانت قيادة الحركة في أيدي العلماء فكان السيد أحمد الشهيد عالمًا بنفسه، وقد بايعه جمع من علماء الهند المرموقين وفي مقدمتهم شاه إسماعيل الشهيد وشاه عبد الحي.
- كان مركز الحركة منطقة إقليم سرحد حيث اجتمعت حولها أعداد من المسلمين من كل أنحاء الهند وناصره الآخرون بالمال والتأييد.
- لم تخمد حركة المجاهدين بعد استشهاد السيد أحمد الشهيد بل استمرت لقرن وربع بالتواتر.
- وتوجد أدلة واضحة على وجود مراكز حركة المجاهدين في إقليم سرحد والمناطق القبلية حتى عند قيام باكستان.
- طبقت حركة المجاهدين الشريعة فعلًا في حياة السيد أحمد الشهيد وبعد استشهاده كذلك في مختلف مناطق إقليم سرحد والذي يشبه من نواح كثيرة ما قامت به الإمارة الإسلامية لحركة «طالبان» في أفغانستان.
- تربط كل التوجهات الدينية في شبه القارة علاقتها بالسيد أحمد الشهيد والسيد إسماعيل الشهيد. فمن أوائل الشيوخ مدرسة ديوبند الحاج إمداد الله

المهاجر المكي الذي كان قد بايع خليفة السيد الشهيد وقاد العلماء في الجهاد ضد الإنكليز على جبهة شاملي وعلماء أهل الحديث كذلك ينسبون أنفسهم إلى علماء صادق بور، بتنه الذين ناصروا السيد الشهيد بكل ما لديهم وعلى الأخص بأموالهم وذاقوا الويلات على أيدي الإنكليز جراء ذلك. فهي حركة امتازت باتفاق جميع مسلمي شبه القارة وإن كان من مخالف لها فهم فئة من البريلويين فقط.

مما لا شك فيه أنّ القرآن والسنة هما أساس دعوتنا، وأنّ سيرة الرسول ﷺ هي الأسوة الحسنة وصحبه الكرام رضوان الله عليهم هم مَن يقتدى بهم، ولكن لا يمكن إنكار الحقيقة بأنّ ضرب الأمثلة للناس مما حولهم ومما مر في أزمنتهم أدعى لهم لفهم الأمور، وهذه الحقيقة نجدها راسخة في نفوس مسلمي شبه القارة خاصة. والمقصود أنّ الدعوة للجهاد كحركة أتت إلى باكستان من الخارج مع وجود حركة جهادية عظيمة داخلية في شبة القارة وبقطع صلتنا بها سيكون خطأ كبيرًا.

ثانيًا: حقيقة القوات الباكستانية «المقدسة»

لم ينتقد أحد حتى اليوم القوات الباكستانية كهيئة بذاتها. فكل من ينتقد الجيش ينتقد بعض أبرز رموزه بدون أن يمس قداسته بحرف. وبما أن استخدام اللسان والقلم ضد الجيش الباكستاني يعتبر «غدرًا ضد الدولة» في قانون باكستان

لذا فإن الذين يحملون في أنفسهم أشد مشاعر النفور من الجيش هم أيضًا لا يجرؤون على ذلك. فيجب علينا نحن الآن أن نقدم على ارتكاب هذه الجريمة وننسف قداسة هذا الجيش المعادي للإسلام ونوقع الضرب على أضعف نقاطه التالية:

- معايير الالتحاق بالجيش واختباراتهم ومراحل الالتحاق به.
- تربية الأكاديميات والهيئات العسكرية وأهدافها.
- التاريخ الأسود لقطع الجيش المختلفة قبل نشأة باكستان وبعدها.
- المصالح المالية الممتدة في كل الجهات للجيش وخصوصًا لأكابر ضباطه.
- الدور الشنيع للجيش خلال السنوات الست الماضية ضد الإسلام وأهله.

ثالثًا: دولة باكستان وحقيقة النظام الديموقراطي فيها

ذهب الإنكليز تاركين ورائهم نظامًا ديموقراطيًّا وهيكلًا إداريًّا (بيروقراطيًّا) فريدًا من نوعه. وحتى اليوم ظل أكابر علماء باكستان المرموقين يجيزون هذا النظام كليًّا أو جزئيًّا مباشرة أو بواسطة ما، وظلوا يرون الأمة طريق العيش تحت هذا النظام أو إصلاحه دون معارضته، ولم يقل أحد منهم بأنّ هذا النظام نظام كفر وإلحاد بل على العكس من ذلك اختار أكابر كل الفرق تقريبًا وجهة النظر بأنّ ديموراقراطية باكستان ودستورها وقانونها وبرلمانها كله إسلامي وأنّ نظامها باعتبار جوهره لا يختلف عن نظام الديموقراطية الغربي فحسب بل عن أنظمة جميع الدول

الإسلامية تمامًا. وأنّ كل الفساد في باكستان منبعه ليس النظام بل هو فساد حكامه الذين بغوا عن دستور باكستان.. ويجب علينا تنحية هؤلاء الحكام بطرق ديموقراطية أمنية ونأتي بحكام يديرون نفس نظام الحكم هذا في ضوء نفس دستور باكستان الموجود بأمانة وحكمة. ولذا فدون تدمير فلسفة «الديموقراطية الإسلامية» ونسف قداسة «دستور باكستان» لا يمكن الدعوة إلى الجهاد وتطبيق الشريعة في باكستان. وليكن في الأذهان أنّ الأدلة التفصيلية والكتب المسهبة لشخصيات بارزة مثل مفتي الديار الباكستانية الأسبق مفتي محمد شفيع عثماني ومؤسس الجماعة الإسلامية الشيخ أبي الأعلى المودودي تقف وراء هذه الفلسفات. ولذا نحتاج لأدلة وبراهين مقنعة وقوية لمقابلة هذه الأفكار.

وبجانب نقد هذا النظام من الناحية الشرعية يجب نقده من ناحية الثمار التي كان الإنكليز يريدون اقتطافها من زرع نظام «الديموقراطية المحدودة» الخاص وسقايته بهيكل إداري بيروقراطي تلقى ومازال يتلقى تربية من نوع خاص في شبه القارة. وكيف استطاع هذا النظام الشيطاني إحكام شباكه حول مسلمي هذه المنطقة على مر السنوات الستين الماضية والقضاء على نظامهم الاجتماعي ونزع قوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منهم وغمسهم في مستنقع مشاكل الحياة اليومية المخترع بحيث لا يجدون فرصة لكي يفكروا كيف يمكنهم الاقتداء بهدي هذا الدين ولأن يبذلوا أغلى ما عندهم للحفاظ عليه.

العمل العسكري في باكستان

قبل النزول إلى دائرة المجال العسكري في باكستان يجب أن تبقى في الأذهان حقائق مهمة وهي كالآتي:

- يتراوح عدد الجيش الباكستاني النظامي بين خمسمئة وخمسين ألفًا إلى ستة آلاف جندي. وإن أضفنا القوات العسكرية غير الجيش مثل المليشيات وقوات الاحتياط فإنّ هذا العدد يقارب التسعمئة ألف.
- عدد كبير من هذه القوات موزع على الحدود الهندية التي لا يسع باكستان أن ينقل كثيرًا منهم عن مناطقهم في أي حال. وكذلك عدد لا بأس به مخصص للوظائف الإدارية في مراكز الجيوش المختلفة وثكناته ولا يمكنه كذلك النزول مباشرة في ميدان المعركة. لذا عمليًّا نحن لا نواجه أصلًا تسعمئة ألف جندي، بل نواجه ما يقارب ثلاثين إلى أربعين في المئة منهم.
- جيش باكستان ينقسم لتسع فيالق عدد جنود كل واحد منه حوالي ستين ألف جندي. من هذه الفيالق التسعة يوجد واحد فقط في إقليم سرحد وآخر في إقليم بلوشستان في حين أنّ الفيالق السبعة الباقية موزعة على مناطق كشمير الحرة وبنجاب والسند فشغلنا إلى يومنا هذا في أرض وزيرستان بعملياته العسكرية فيلق واحد من هذه الفيالق التسعة وهو الذي مركزه في بيشاور، أو بعبارة أدق:

فقط واحد «دويزن» من هذا الفيلق المتمركز في كوهات وللعلم: إنّ كل فيلق يشتمل على ثلاثة «دويزن».

● لو أردنا أن نهزم أي عدو فعلينا أن نركز أساسًا على كسر هممه وعزائمه، بدلًا من أن يكون تركيزنا على تدمير قوته المادية فقط. فالجيش الذي يفقد إرادته القتالية، لا مفر له من الهزيمة مهما امتلك من العدة والعتاد والضرب على القوة المادية للعدو يكون أيضًا لكسر همته وليس مقصودًا إلى حد ذاته.

● هناك فرق أساسي بين أهداف المجاهدين على جبهة أفغانستان وبين أهدافهم على جبهة باكستان في أفغانستان نواجه عدو خارجي احتل البلد ونريد أن نخرجه منه. أما باكستان، فنواجه هنا الجيش الباكستاني المشتملة على أبناء هذه الأرض، فلا يمكن أن يكون النصر هنا عبارة عن إخراج العدو من المنطقة. لكن من الممكن جدًّا أن نرتب عملياتنا العسكرية داخل الباكستان بأسلوب يشعر الجيش الباكستاني أنه محيط ومحصور من كل جانب، ويؤدي هذا الشعور إلى كسر همم الجيش ويجبرهم على أن يضعوا السلاح، ويرجعوا إلى بيوتهم أو يسلموا أنفسهم للمجاهدين.

● فلو ركزنا فقط على تدمير القوة المادية لدى الجيش الباكستاني واستخدمنا لمواجهته نفس الأسلوب الذي نستخدمه لمواجهة عدو خارجي في أفغانستان، فأخشى أننا سندخل في حرب أهلية التي لا نهاية لها.

بإبقاء هذه الأسس والحقائق في الأذهان، نستطيع أن نخطط أي خطة عملية للعمل العسكري في باكستان ونتناول فيما يلي إحدى هذه الخطط العملية:

خطة العمل

في رأيي: على المجاهدين التخطيط للسيطرة على مناطق سرحد وبلوشستان بأكملها ولإضعاف نظام الحكومة في بقية مناطق باكستان ولإشغال الجيش فيها. ولتنفيذ الخطة عمليًّا يجب اتباع الخطوات التالية:

أولًا: يجب شن عمليات على الجيش الباكستاني الموزع على الحدود الهندية لأن هذه المناطق ميدانية وصحراوية واسعة يسهل فيها استهدافهم بهذه العمليات سنتيقن من أنّ هذه الجيوش الحدودية لن تأتي لنجدة الجيوش الموجودة في إقليمي سرحد وبلوشستان، بل ستولي اهتماماتها في تقوية الدفاع عن مناطقها خصوصًا لأنها مناطق حساسة من منظور الحرب مع الهند؛ ولذا فإنّ كل عملية في هذه المناطق ستكون بمثابة «غرز المسمار في أقدام الجيش» بحيث لن يمكنه التحرك من هذه المناطق.

ثانيًا: تطبيق «القانون والنظم» أو «إرادة الحكومة» في مناطق بنجاب المدنية هي من مهام شرطة إدارة حكومة بنجاب ونظامها. فإن استطعنا إضعاف القانون والنظم بشن عمليات على أهداف منتخبة بحيث يضطر الجيش للخروج إلى الشوارع والإمساك بزمام الأمور فسيكون نجاحًا مهمًّا آخر لنا لأنّ بهذه الطريقة

أيضًا ستكون قطع الجيش في بنجاب مرغمة على البقاء فيها ولن يهدأ لها المجال لكي تتفرغ لإقليم سرحد.

ثالثًا: إن تمكن لنا الحصول على هذين الهدفين فسنجعل خروج عدد كبير من الجيش الموجود في بنجاب والسند صعبًا. وبعد ذلك سيبقى علينا تركيز الاهتمام لخنق الجيش وقطع جزءه الشرقي عن الغربي. هناك ممرات خاصة استعملت عبر القرون للعبور من البنجاب والسند إلى سرحد وبلوشستان مثل ميانوالي وليه وخضدار وغيرها. فإن استطعنا جعل هذه المنافذ –التي لا تولي الحكومة أية اهتمام للحفاظ عليها– صعبة العبور للجيش وأغلقناها عمليًّا فبذلك سنقطع الصلة بين الفيلقين الموجودين في إقليمي سرحد وبلوشستان عن باقي الفيالق في بقية الجزء الشرقي.

رابعًا: وبعد ذلك لو بدأنا الضغط على الجيش المتبقي في الجزء الغربي في الجبهتين الدعوية والعسكرية فإننا نثق في الله تعالى بأنّ الجيش الذي استسلم في البنغال أمام الهنود وهو يبلغ تسعين ألفًا سيضع أوزاره أمام المجاهدين في سبيل الله بأسرع من ذلك. خصوصًا عندما يكون في أذهان الجنود أنهم محاطون من كل جانب وأنّ صلتهم بالبنجاب والسند منقطعة[٢].

---

[٢] تمام الورقات كما هي بين أيدينا. تقبل الله عبدَه عبد المجيد ورفع درجته في عليين وجزاه عن المجاهدين خيرًا.